﴿ يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ... ﴾(١) .

ولست أرد إلى الفكر اليونانى وحده، ما أصاب العقل الإسلامى من عوج ، إن هناك نوعا من التدين يفهم طلب الآخرة على أنه كراهية الحياة ، ويفهم الزهد فى العاجلة على أنه الجهل بها أو العيش على هامشها . . .

وفى الأعصار الأخيرة شاع هذا النوع من التدين ، فشان الدين والدنيا معا، وألحق بالمسلمين هزائم رهيبة فى معاشهم ومعادهم على سواء !

ما تقول فى شخص يقطع يده، لأنها قد تقترف إثما؟ إنه لن يستطيع بعد ذلك أن يفعل خيرا . وقد روى الجاحظ أنه لقى رجلا شاحبا معلول البدن فسأله ما به؟ فقال له : فكرت فيما تجره الشهوة الجنسية على صاحبها من انحراف وشر ، فذهبت فاختصيت! وفقد الأحمق القدرة على الحياة كلها بهذا الحل ! إن بعض المتدينين ارتضى هذا المسلك، وعاش فى زاوية ضيقة من الكون الواسع، إيثارا للراحة، أو السلامة، أو البعد عن الفتن، أو الاستعداد للآخرة . . .

وترك ميادين الحياة يعربد فيها الآخرون ! ينشرون أهواءهم، وينصرونها .

ليس هذا فكرا إسلاميا قط، وإن أمسى فكرا عاما بين جمهرة المسلمين الذين يحيون غرباء ضعفاء فى أنحاء العالم .

إن انفتاح المرء على الكون وفقهه لما فيه واستمكانه منه، هو التوجيه القرآنى الأوحد لجملة العقائد والمعالم، التى يقوم الدين عليها . .

هل هناك مخلوقات صنعها إله غير الله ؟ هل هناك إله خلق الحيوان ، وآخر خلق الإنسان؟ هل خالق الشمس غير خالق الأرض؟ إن وحدة الكون فى نظامه وغايته قاطعة فى أن الخالق واحد ! ولذلك يقول جل شأنه : ﴿ خلق السموات بغير عمد تَرَوْنَها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم* هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه﴾(٢)؟

---

(١) البقرة : ٢١ـ٢٢ . (٢) لقمان : ١٠ـ١١ .